

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[42] عظيم). التأمل في هذه الآيات يكشف بوضوح عن أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو عبد من عباد الله، وهو مكلف أيضاً بعبادة الله بإخلاص، لأن الله - هو أيضاً - يخاف العذاب الإلهي، وهو مكلف بإطاعة الأوامر الإلهية، كما أن الله مكلف بتكاليف وواجبات أثقل وأعظم من تكاليف الآخرين، ولذا يجب أن يكون أفضل وأسمى من الآخرين. إن الله لم يدع الألوهية أبداً، ولم يخط خطوة واحدة خارج مسير العبودية، بل إن الله يفتخر ويتباهى بهذا المقام، ولهذا السبب كان قدوة وأسوة، وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يفضّل نفسه على الآخرين، وهذا دليل على عظمته وأحقّيته، فهو ليس كالمدينين الكذابين الذين كانوا يدعون الناس إلى عبادتهم، ويعتبرون أنفسهم أرقى من البشر، وأن الله من معدن ثمين أفضل من الناس، وأحياناً يدعون أتباعهم إلى التبرع سنوياً بالذهب والجواهر بقدر وزنهم. إن الله يقول: إنني لست مثل السلاطين المتجبرين على رقاب الناس الذين يكلفون الناس ببعض التكاليف ويعتبرون أنفسهم "فوق تلك التكاليف" وهذا في الواقع إشارة إلى موضوع تربوي هام، وهو أن كل إنسان - مريباً كان أم قائداً - عليه أن يكون السباق في تنفيذ من أجلها ما يمليه عليه نهجه، فيجب أن يكون أوّل مؤمن بشريعته أو سنته وأكثر الساعين والمضحين كي يؤمن الناس بصدقه، ويتخذونه أسوة وقدوة لهم في كل الأمور. ومن هنا يتضح أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن أوّل مسلم من حيث الزمان وحسب، وإنّما كان أوّل إسلاماً من كل النواحي، من ناحية الإيمان والإخلاص، والعمل، والتضحية، والجهد، والصمود، والمقاومة، وتأريخ حياة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤيد هذه الحقيقة بصورة جيدة. بعد استعراض المناهج السبعة المذكورة في الآيات أعلاه (التقوى، الإحسان، الهجرة، الصبر، الإخلاص، التسليم، الخوف). ولكون مسألة الإخلاص لها ميزات خاصة في مقابل العلل المختلفة للشرك،